

الامامة والسياسة

[129] وكلت أذرعنا ، وتقطعت سيوفنا ، ونصلت (1) أسنة رماحنا ، فارجع بنا نحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة ، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا . فأقبل علي بالناس حتى نزل بالنخيلة ، فعسكر بها ، وأمر الناس أن يلزموا معه عسكرهم ، ويوطنوا أنفسهم على الجهاد ، وأن يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم ، حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام ، فأقاموا معه أياما ، ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، ويتلذذون بنسائهم وأبنائهم ولذاتهم ، حتى تركوا عليا وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير ، وترك العسكر خاليا . خطبة علي كرم الله وجهه قال: فقام علي على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ، ودرك الوسيلة عنده ، فأعدوا له ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، وتوكلوا على الله ، وكفى به وكلاء ، ثم تركهم أياما ، ودعا رؤساءهم ووجوههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي ثبثهم ؟ فمنهم المعتل ، ومنهم المتكبر ، وأقلهم من نشط ، فقال لهم علي: عباد الله ، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ، ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا ، كلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكانت قلوبكم قاسية ، فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه (2) ، فأنتم لا تبصرون ، أنتم ، ما أنتم إلا أسود رواءة (3) ، وثعالب رواءة عند الناس ، تكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون ، وأنتم في غفلة ساهون: إن أخا الحرب اليقظان . أما بعد: فإن لي عليكم حقا ، ولكم علي حق ، أما حقكم علي: فالنصيحة في ذات الله ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقي عليكم: فالوفاء بالبيعة ، والنصح لي في الإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا بذلك ما تحبون ، وتدركوا ما تأملون . _____ (1) نصلت أسنة رماحنا . خرجت من الرماح فأصبحت رماحا خشبا بلا أسلحة . (2) كمه: إجمع أكمه ، وهو الذي ولد بدون عيين ، ومن ذلك قوله تعالى (وتبرئ الأكمه والابرص باذني) . (3) رواءة: خوافة جمع رواع وهو شديد الروع وهو الخوف . (*)